قد لا يكون بالأمر الجديد القول بما يعنيه شهر رمضان المبارك للمسلمين، ودلالاته التي كثيرا ما كانت سببا لدخول الإسلام من ديانات أخرى.

على أن المحفز للقول في هذا الوقت ونحن نستقبل الشهر الفضيل هو الحاجة التي صرنا إليها لإحياء القيم النبيلة التي جاء بها الإسلام من أجل تنقية واقعنا الملوث بهذا الخصام والتنافر الذي لم يقتصر على أصحابه وإنما عمّد على الجميع معيشتهم.

فإلى جانب كونه شهر صيام وعمل للصالحات تقربا من الله سبحانه فإنه كما أراده الله طريق إلى تمثل تعاليم المنهج الإسلامي في علاقات الناس ببعضهم.. هو مناسبة استثنائية لاستعادة القيم.. ومدرسة لتهذيب النفوس.

رمضان بمظاهره والسلوك الذي يلتزمه المسلم خلال أيامه ولياليه فرصة كي نستعيد الشعور بعظمة تلك التعاليم والصفات التي أراد الله أن نكون عليها في حياتنا وعلاقاتنا.

تحقيق/ وديع العبسي

علينا أن نغترف من مدرسته قيم المحبة والتجرد من الذات لنجعل رمضان شهراً للتسامح ونبذ الخلافات

علماء:
طقوس رمضان ترسي أسس المحبة والأحاسيس النبيلة تجاه الآخرين

كتّاب:
في شهر رمضان تتعالى أصوات الصلح وتصفية النفوس

يدعو شوقي السعيد خطيب لجعل رمضان «صفحة جديدة أولى لعلاقات مبنية على التفاهم والرضا والمحبة».. وقال «إن شهر رمضان فرصة للتسامح ونبذ الخلافات والتصالح وإنهاء النزاعات ونسيان ما أفسده الدهر، وهو فرصة لتدريب المسلمين على القيم النبيلة السامية والآداب الإنسانية الرفيعة من التسامح، والبر وصلة الرحم».. ويقول السعيد إن الله قد دعا إلى الأخوة وقد وردت الكثير من الآيات في ذلك.. يقول تعالى في سورة الحجرات (إنما المؤمنون إخوة)، ويقول سبحانه (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)سورة المائدة، ويقول عز وجل (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)سورة المؤمنون.. وقال تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون» سورة آل عمران.. ويضيف مقتبساً «الاعتصام وحدة وواجب ديني ينبثق عنها اللقاء الأخوي الركيزة الأساسية لبناء المجتمع الإنساني للتعاون وتحديد وظائف الحياة وأدوار الناس القائم على الأخوّة، وتشكل الأخوّة أمة قوية ووحدة راسخة ووطناً آمناً ومجتمعاً متعاوناً نتاجه تنمية شاملة، فإذا تحققت هذه الشروط كانت سعادة».. ويضيف «كما ورد الكثير من الأحاديث في هذا الجانب فيقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا).

إذابة الخلافات

وما أجمل استغلال هذه الفرصة لإزالة أسباب الخلاف، والتأسيس لعلاقات قائمة على المحبة والثقة وإعلاء قيم الحق والخير والجمال بين أفراد المجتمع.. تشير أستاذة علم النفس الاجتماعي الدكتورة سهير فارس وهي أكاديمية أردنية «إن طقوس رمضان والعادات الاجتماعية الرمضانية تسهم في إذابة كل الخلافات وتقوية بناء الأسرة الواحدة في بوتقة واحدة وفي إرساء أسس المحبة والأحاسيس النبيلة تجاه الآخرين».

ربما يتفق الجميع مع هذا الطرح ويستشعر به إلا في حين من الاستلاب يأبى على نفسه أن يكون مبادراً إلى إعادة مياه التوافق مع الآخرين إلى مجرى العلاقات.. يقول شوقي السعيد «في مثل هذه المناسبات الدينية الجليلة لابد أن نتجرد أن الذات والأنا وننظر إلى كياننا الإسلامي كجزء واحد يتطلب أن يتكامل ليكون لحمة واحدة في مواجهة التحديات».

ويتسم السلوك الاجتماعي خلال شهر رمضان بطابع من الجود والكرم على أنه لا يقتصر على الأشياء المحسوسة فقط وإنما أيضاً في بذل المشاعر وإشاعة قيم والأخوة والمحبة والسلام، يقول زياد القباطي الباحث الاجتماعي في مركز نماء «إن رمضان يعلمنا على أن نجود ونكون كرماء، وهذا مطلوب ونريده اليوم سواء على مستوى المال ممن لديه لمن يعاني من الحاجة، أو أن نجود ونكون كرماء في الصفح والعفو والتسامح ونجعل رضا الله هو غايتنا».

العلاقات الاجتماعية

ولأن هذا الشهر هو شهر للتسامح والمحبة فإن الحاج عبدالكريم الذي لم يشأ كتابة اسمه كاملا فلا يكون عمله رياء حسب قوله اعتاد في مثل المناسبة إصلاح ذات البين.. وقال «في الحارة حيث مسكني أو في حارات أخرى وحيث أكون على علم بأن هناك من حل عليهم الشيطان ضيفا ثقيلا أحرص أن لا يخرجا من هذا الشهر الكريم إلا وقد تصالحا».. وأضاف «أحيانا اكتشف أن هناك مشاكل معقدة بين بعض الناس وحينها الجأ إلى مجموعة من المعروف عنهم بالورع ولهم قبول لتدارس هذه المشاكل ونجتهد إلى أن نحل هذه المشاكل حتى وإن كان في الأمر نزاع بسبب مال أو أرض أو ما شابه والحمدلله».

ويؤكد القباطي على أن «الخلافات أمر طبيعي أن تنشأ بين الناس فهي ترجمة عن نفسية طبيعية لكنها لا تصبح كذلك حين يتحول إلى عداء وحقد فهنا يتحول إلى مرض».. وزاد «صحيح أن لدى البعض أنفة ولا يحبذون المبادرة في مد يد التصالح إلا أن هناك مناسبات يمكن تعفيهم من الإحراج مثل شهر رمضان المبارك الذي يدعو إلى التسامح، والامتثال إلى هذا يعتبر امتثالاً لأوامر الله وليس فيه أي تنازل».

وينصح الحاج عبدالكريم بالتواصل بين الناس وصلة الأقارب والأرحام.. وتشير الكاتبة حنان محمد فارع في تناولة حول إنسانية رسالة رمضان إلى أنه في رمضان تنتشر «قيم التسامح والمحبة ويتقرب الجار من جاره وتذوب الخلافات الأسرية، ويتم توثيق أواصر العلاقات الاجتماعية وإزالة كل أنواع التوتر والخلاف».. وتضيف فارع «بقدوم رمضان تتعالى أصوات الصلح وتصفية النفوس ومحو الماضي والبدء بصفحة بيضاء جديدة».

وحدة إسلامية

وإذا كانت العلوم الاجتماعية والنفسية تؤكد على الأخوية التي يشيعها شهر رمضان المبارك فإنها أساساً تتحقق كنتيجة لتلك الأجواء الروحانية والعلاقات التراحمية التي يشيعها جو هذا الشهر الفضيل، وهي مسألة تأتي معززة لما دعانا الله سبحانه للاتصاف به، طبعا هذا إلى جانب ما للصوم من فوائد وقف عليها علماء العالم بل وجعلوها واحدة من طرائق العلاج للعديد من الأمراض.

يؤكد شوقي السعيد خطيب بأنه من شهر رمضان نتعلم دروسا، وهو فرصة لتعلم واكتساب الآداب الإسلامية.

يشكل شهر رمضان المبارك واحداً من أبرز مظاهر الوحدة الإسلامية.. يعيد إلينا حضوره الجوهر السامي للإسلام إذ فيه وحدة في الممارسة، ووحدة في الشعور.. فالممارسة والشعور يعيشها المسلم أينما انتقل من البلاد الإسلامية كما تجدها لدى المسلمين في غير البلاد الإسلامية.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم «مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، وعادة يخفت التمثل بمثل هذا التوجيه طوال أيام السنة بسبب صعوبة السعي لكسب العيش حسب البعض ليحيا من جديد في مثل هذا الشهر المبارك.. وجاء في كتاب (دين حياة) «أحيانا الإسلام على الإخاء والمحبة والتراحم ولذلك فإنها تستمر في حياة المسلمين مهما التهى المسلم بمغريات المدنية والحياة المادية».

ومن أبسط مظاهر السلوك الإسلامي الفردي الذي يقوى خلال شهر رمضان المبارك هو التعامل بين المسلمين الذي يأخذ طابع التراحم.

وباستثناء بعض التصرفات الطائشة تجد حرصا جميعاً على معاملة الله في مختلف أشكال الاتصال بين الناس بما في ذلك عمليات البيع والشراء وتبادل المنافع.

المؤسف كما يتفق في ذلك الكثير أن المسلم غالبا يتمثل أخلاقيات الإسلام خلال شهر رمضان المبارك ليختلف الأمر بعد ذلك وكأن هذه الأخلاقيات هي أخلاقيات خاصة بشهر رمضان، وان التحلي بها إنما هي واحدة من الفروض خلال هذا الشهر، وهذا أمر مؤسف يفترض على الدعاة والمشائخ تفعيل جانب التوعية بشأنه للحفاظ على أخلاقيات الإسلام باعتبارها من صفات الإنسان المسلم في كل مكان وزمان لنحقق بذلك مجتمعاً متماسكاً قوياً قادراً على مجابهة الصعاب وتجاوز الطارئات من المشكلات والنوائب.